مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

التجارب الوحدوية في الوطن العربي والدروس المستفادة منها جامعة الدول العربية

د. ميلود ميسوم
جامعة الشلف
Email: miloudmissoum02@yahoo.fr

ملخص

إن قيام الجامعة العربية، لم يكن وليد رغبة انجليزية، ولا نتيجة لتصريح بريطاني أصدره وزير الخارجية الإنجليزي أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي الأربعينات من القرن الماضي كانت القبضة الاستعمارية لا تزال ممسكة بزمام كثير من خيوط العالم العربي، ورغم أن المنطقة العربية كانت تعج بالقواعد العسكرية الأجنبية، وواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعماري، إلا أن هذه السنوات كانت تشهد مداً تحرريا عارما، وغليانا عربيا يهدد بالانفجار ضد مصالح ونفوذ وقوات الاستعمار. ولا جدال في أن قيام جامعة الدول العربية، وبصرف النظر عن مدى فاعليتها، قد ساعد على خلق شبكة واسعة من المؤسسات الرسمية الجماعية، حيث أسهمت بشكل ملحوظ في تنشيط التفاعلات العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتقنية، وأوصلتها إلى مستوى كان من الصعب تصور تحقيقه في غيابها. وعلى صعيد آخر، يلاحظ أن رغبة بعض الدول الأعضاء التي ترتبط فيما بينها بروابط ومصالح أوثق في إقامة أطر مؤسسية أقوى، أدى إلى ظهور نظم إقليمية فرعية، صمد بعضها كمجلس التعاون الخليجي، وتعثر بعضها الآخر؛ كاتحاد المغرب العربي ، وانهار بعضها الثالث، بعد فترة وجيزة من قيامه ؛كمجلس التعاون العربي الذي قام عام 1989 بين مصر والعراق والأردن واليمن.

الكلمات المفتاحية:

جامعة الدول العربية؛ بريطانيا؛ إيدن، حركات التحرر؛ الاستعمار؛ الشرق الأوسط ؛إسرائيل ؛ الحرب الباردة..

Abstract

Unified experiences in the Arab world and lessons learned from it. League of Arab states

Abstract:

It can be said that the Arab League was not born out of an English desire or as a result of a British statement issued by the English Foreign Minister during the Second World War. In the 1940s, although the colonial grip was still holding many of the threads of the Arab world, With foreign military bases and within the areas of colonial influence, however, these years were witnessing an enormous freedom of expression and an Arab agitation that threatened to explode against the interests, influence and colonial forces. It is indisputable that the Arab League, regardless of its effectiveness, it helped to create a wide network of collective official institutions that contributed significantly to stimulating Arab interactions in all political, economic, cultural, social and technical fields, and brought them to a level that was difficult to imagine without its presence. On the other hand, it is noted that the desire of some member states, which have closer ties and interests to establish stronger institutional frameworks, has led to the emergence of sub-regional systems, some of which have survived (Gulf Cooperation Council), some failed such as (the Arab Maghreb Union) and some of them collapsed shortly afterwards (the Arab Cooperation Council, which was established in 1989,between Egypt, Iraq, Jordan and Yemen)

Keywords: League of Arab states ,Britain, Eden, Liberation Movements, The Middle East, Colonization, Israel, The Cold War.

- **توطئة:**

مرّ المشروع الوحدوي العربي بعدد من التطورات؛ نتيجة لموجات المد والجزر التي تعرض لها التيار القومي عبر المراحل الزمنية المتعددة، فبعد أن استقر هذا المشروع إيديولوجيا في الأربعينات على فكرة إعادة تركيب أشلاء المنطقة العربية المفتتة دولا وعشائر وطوائف متعددة على أسس مستحدثة توفر مزيدا من الحرية والعدالة الاجتماعية، وتحول في الخمسينات، بفعل قوة المد القومي الوحدوي إلى مشروع حاكم ومؤثر في سياسات وتوجهات أكثر من بلد عربي، وكانت فكرة الوحدة - التي تمثل أقصى الطموح القومي- مطروحة في تلك المرحلة كشعار وكهدف سياسي قومي يسعى التيار القومي إلى تحقيقه .

1- الوحدة العربية والأمل المنشود:

تقوم الدعوة لقضية الوحدة العربية بما هي تجسيد لفكرة القومية العربية، وتحقيق وحدة الأمة العربية على توفر عوامل موضوعية ثابتة وتاريخية مستمرة، تتمثل بوحدة اللغة والتاريخ المشترك، والثقافة والتكوين النفسي المشترك، إضافة إلى وحدة الأرض والمصالح الاقتصادية .

وقد ظهرت فكرة الوحدة في العصر الحديث كتعبير عن شعور الشعب العربي بالانتماء إلى قومية واحدة هي القومية العربية، وعن سعيه لتجاوز واقع السيطرة الاستعمارية وطموحه إلى التحرر والاستقلال والاتحاد وإقامة دولة عربية واحدة، كما برزت الدعوة لها والنضال في سبيلها من خلال كفاح الشعب العربي ضد التواجد العثماني الذي دام أكثر من أربعة قرون، ومن ثم ضد سيطرة الاستعمار الغربي الذي ابتلي به الوطن العربي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان من أبرز الأثار والنتائج التي خلفها والناجمة عن مخططاته، والمرتبطة بأطماعه وأهدافه القريبة والبعيدة تكريس تقاسم الأقطار العربية، وإخضاعها لنفوذ الاستعمار، وبالتالي فرض حالة من

التجزئة على الوطن العربي، ما تزال قائمة وتتطلب العمل لإزالتها والسير على طريق التحرر والتقدم باتجاه تحقيق الوحدة العربية المنشودة [1].

2- جامعة الدول العربية :

جامعة الدول العربية هي منظمة تضم دول من آسيا وإفريقيا، ويعتبر أعضاؤها دولا عربية، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، من ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة، المقر الدائم لجامعة الدول العربية هو مدينة القاهرة.

تعود جذور جامعة الدول العربية إلى حقبة الثلاثينات من القرن الماضي، حين اشتد ساعد حركة القومية العربية في منطقة المشرق العربي [2]، وارتبط ذلك بعدد من المظاهر، مثل اضطراب الوضع الدولي والدعاية الموجهة من ألمانيا النازية اتجاه البلاد العربية ضد بريطانيا وفرنسا، وانتهاء الانتداب البريطاني على العراق عام 1932 ولجوء عدد من القوميين العرب إليه ، وتزايد الهجرة اليهودية إلى فلسطين خصوصا بعد وصول هتلر [3] إلى الحكم في عام 1933[4].

1. حول الوحدة العربية ، عواملها – أهم تجاربها والدروس المستخلصة منها والطريق المؤدية إلى تحقيقها ، حزب البعث الاشتراكي ، القيادة القومية ، مكتب الثقافة والإعداد الحزبي ، سلسلة دراسات ، المطبعة القومية ، دمشق ، 2003 ، ص 5 ، 6 .

2. علي الدين هلال ، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية - أمريكا والوحدة العربية 1945-1982- مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،بيروت 1989، ص63.

3. ولد أدولف هتلر في قرية حدودية بين ألمانيا والنمسا تسمى براوناو في العشرين من أفريل عام 1889 من أبوين فقيرين ،مات والده حين كان عمر إبنه 13 عاما ، ومات معه أمله في رؤية إبنه جمركيا ، لكنه قرر أن يكون فنانا فشد الرحال إلى أكاديمية الفنون بفيينا ، لكنه أساتذته قرروا أنه لا يصلح وايست فيه مواهب الفنان أو الرسام ، فوجد نفسه مرميا في شوارع فيينا يقتات من أشغال يومه ، وفي عام 1912 انتقل إلى ميونيخ وعمره 23 عاما ، واستغل بداية الحرب العالمية الأولى وانظم للجيش كمتطوع ، فعين ساعيا للبريد بين الوحدات لضيلة جسمه ، مع ذلك نال وسام

حث نوري السعيد بريطانيا على اتخاذ موقف مدعم، فأصدر في جانفي 1943 مشروعا عن وحدة الهلال الخصيب، والذي اشتهر باسم الكتاب الأزرق، ودعا فيه إلى توحيد سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في دولة واحدة، وإنشاء جامعة عربية تضم سوريا الموحدة والعراق وأي بلد عربي يؤيد ذلك، ولنشر فكرته قام نوري السعيد بزيارة خاصة إلى مصر في ديسمبر 1942 قابل خلالها عددا من المؤيدين للحركة العربية [5].

وقع مشروع الاتفاقية، أو ما يعرف ببروتوكول الإسكندرية يوم 07 أكتوبر 1944، أما الميثاق المؤسس للجامعة العربية فقد تم التوقيع عليه في القاهرة في 22

الصليب الحديدي ، خرج من الحرب بجراح عميقة في فكره ، ولعل جرحه الأول كان هزيمة ألمانيا القاسية وإذلالها من قبل الحلفاء بمعاهدة فرساي ، والجرح الثاني كان من اليهود الذين شاهد تصرفاتهم القبيحة وكيف أنهم وحدهم كانوا يستغلون كل معاناة الشعب الألماني ومتاعبه ليزيدوا من ثرواتهم ، وكلما ازداد هتلر قراءة بعد ذلك اكتشف أن اليهود كانوا السبب في انهيار ألمانيا وهزيمتها في عصرها الإمبراطوري الذهبي ، وهو ما جعل كراهيته لليهود بعد ذلك لا تأتي من فراغ ، إلى درجة أنه رفض مقابلة أي يهودي طوال حياته، ، في سنة 1923 أعلن هتلر نفسه رئيسا لجمهورية ألمانيا الجديدة ، لكن الشرطة أوقفته وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ، قضى منها تسعة أشهر ، وفي عام 1932 رشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية لكن الارئيس هندبورج تفوق عليه ، فعينه هذا الأخير رئيسا لوزرائه ، فاستطاع في وقت وجيز أن يقضي على جل مشاكل ألمانيا الاقتصادية مما ألهب الجماهير ، وزادت سلطاته حين منحه البرلمان سلطات مطلقة ، وفي 1934 مات هندبورج فاستولى هتلر على السلطة ، وأعلن عن تمرده عن معاهدة فرساي وعصبة الأمم المتحدة ، وطور قدرات العسكرية ، ليزج بالعالم في حرب مدمرة انتهت بملايين الضحايا ودمار في كل شيء. انظر : صلاح منتصر ، الذين غيروا القرن العشرين ،ط1 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 36 ، 37 .

4. علي الدين هلال ، المرجع السابق ، ص63.

5. نفسه ، ص 64 .

مارس 1945، وأكد أن هدف الجامعة هو إنقاذ وسيادة كل دولة موقعة على ميثاقها[6].

ولقد تفاجأ الإنجليز أكثر من غيرهم بنجاح العرب، وراقبوا بسلبية المساعي المصرية التي لم يعتقدوا أنها يمكن أن تتوج بالنجاح، لكنهم لم يقوموا بأي عمل لمنع قيامها، وسمحوا لشرق الأردن الذي لم يكن قد استقل بعد بتوقيع بروتوكول الإسكندرية[7] .

وكان هدف الجامعة الأول هو إبراز موقف موحد حول فلسطين وحول مستقبل البلدان التي كانت تحت الانتداب الفرنسي ولم يكن هدفها الاعتراض على المواقع البريطانية بالمنطقة ، واتخذت القاهرة مقرا للمنظمة الجديدة رمزيا، غير أن عروبة مصر كانت في تلك الفترة سلبية في جوهرها[8] ، وكان هدف تشجيع التعاون بين الدول هو إعاقة مطامح الهاشميين ، ولم يكن لمصر آنذاك لا الوسائل ولا الرغبة في أن تكون مركزا لتجمع وحدوي للعرب ، ولقد مكن هذا البرنامج الواقعي والأدنى في طموحاته ما اعتبره الكثيرون آنذاك آنذاك خطوة أولى نحو الوحدة العربية، ورغم الشعبية المتنامية للفكرة الوحدوية بين الجماهير العربية فقد وضعت أهم العراقيل لتحقيقها على أرض الواقع ، فالمشاريع كانت تبدو دائما على أنها عبارة عن إرادة توسعية لهذه الدولة أو تلك ، أو هذا النظام أو ذاك، وبالتالي كانت تثير معارضة الآخرين ، وإثر الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا تبدو للعديد من المراقبين كما لو كانت القوة العظمى الداعية سرا للوحدة العربية لفرض هيمنتها على المنطقة، ولقد

6. هنري لورانس ، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ،ترجمة محمد مخلوف ،ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ،1992 ، ص 58 ، 59 .

7. هنري لورانس ، اللعبة الكبرى ،المشرق العربي والأطماع الدولية ،ترجمة عبد الحكيم الأربد ،ط2 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،الجماهيرية العربية الليبية ، 1999، ص ,73

8. هنري لورانس ، الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ، المرجع السابق ، ص ,59

ظهر نفس التشخيص الخاطيء في الخمسينات والستينات بالنسبة للاتحاد السوفييتي [9].

1-2 مصير الجامعة العربية في ضوء التحديات المستقبلية :

كان الجدل المثار حول الجامعة العربية منذ إنشائها[10] يدور حول فاعليتها وقدرتها على تحمل المهام الموكولة إليها والمسؤوليات الملقاة على عاتقها والآمال المعلقة عليها.

وكانت الانتقادات كثيرة، والهجوم عليها في بعض الأحيان حاداً ولاذعاً، ولكنه كان ينصب دائماً على سلبياتها وجوانب القصور في أدائها، أو عجزها في ظروف كثيرة عن الوفاء بالطموحات المرجوة منها.

إن الأزمة التي تواجهها الجامعة العربية في الظروف الراهنة لم تعد أزمة كفاءة أداء ولكنها أزمة وجود، يجري يومياً وبصورة متباينة وبأساليب متنوعة التشكيك في جدواه بل وفي مبرر استمراره، والهدف الأول لأي نظام هو البقاء، وبهذا المعنى المبسط تكون جامعة الدول العربية قد أنجزت شيئًا محددًا في أعوامها الستين يتمثل في أنها لم تمت، وإنما بقيت قائمة في الواقع العربي كرقم يكبر حينًا ويصغر أحيانًا لكنه دون شك يمثل أحد أركان المعادلة العربية، وقد يستخف كثيرون بهذا المنطق، غير أن بقاء الجامعة لمدة ستين عامًا ليس بالإنجاز الهامشي، فالمؤسسات كما الأفراد تموت[11].

ولا تنتهي مؤسسة ما إلا إذا فقدت مبرر وجودها، وهو إجماع المنتمين إليها على فائدة بقائها، وقد عاصرت جامعة الدول العربية عديدًا من "الترتيبات التنظيمية" آل

9. هنري لورانس ، المشرق العربي المعاصر والأطماع الدولية ، المرجع السابق ، ص ,73

10. تعد جامعة الدول العربية الإطار الوحيد المقبول للعمل العربي المشترك اليوم، ومقرها في مصر.

11. ميلود ميسوم، التحولات السياسية في الوطن العربي وأثرها على المشاريع الوحدوية 1945-1991، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، 2011-2012، ص ,257

بها الأمر إلى الانتهاء أو الجمود بينما بقيت الجامعة قائمة تتمتع بحد أدنى من الفاعلية، وبعض هذه الترتيبات كان أقوى قانونيًا من رابطة الجامعة، لكن هذا لم يحمه من التفكك والانهيار، كالوحدة المصرية-السورية التي دامت من فبراير1958 إلى سبتمبر1961، وبعضها ماثلت طبيعته طبيعة الجامعة كمؤسسة إقليمية، ومع ذلك فإن الأمر اللافت للنظر أنه سرعان ما انتهى كمجلس التعاون العربي الذي تأسس في 1989 وضم كلاً من مصر والعراق واليمن والأردن لينفجر بعد وقت وجيز في أعقاب انقسام السياستين المصرية والعراقية بشأن غزو الكويت في1990، وإعلان دمشق الذي أعلن عنه في مارس1991 بعد تحرير الكويت بأيام كصيغة لتحالف دول مجلس التعاون الخليجي الستة بالإضافة إلى مصر وسوريا اللتين كانتا قد شاركتا في عملية تحرير الكويت، وثمة نوع آخر من المؤسسات العربية أصابه الشلل التام منذ قرابة عقد من الزمان وهو الاتحاد المغاربي الذي تأسس بدوره في فبراير1989 بعضوية كل من موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا غير أن الجمود التام قد أصابه اعتبارًا من نهاية 1995 وحتى الآن[12].

هذا الإهتمام الذي توالى وتصاعد وشغل معظم الأجهزة السيادية في الأقطار والدول العربية، وفي مقدمتها وزارات الخارجية والاقتصاد والإعلام بالإضافة إلى كافة القطاعات المنخرطة في إدارة النشاط الاقتصادي وعلى رأسها القطاع الخاص، أدى إلى تهميش دور الجامعة العربية، واستدراج الأطراف العربية المشاركة في مثل هذه المؤتمرات، بعيداً عن العمل العربي المشترك، وعن التيار القومي بمختلف روافده الداعي وأدواته إلى تحقيق الوحدة العربية[13].

وعلى الرغم من الهالة الإعلامية والدعم اللامتناهي للمشروع الشرق أوسطي، إلاّ أنه تلقى ضربات قوية، حينما جوبه بالمقاطعة من طرف معظم الدول العربية

12. نفسه ، ص,257

13. مصطفى عبد العزيز مرسي ، العرب في مفترق الطرق بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق أوسطي ، مكتبة الشروق ، مصر ، (د ، ت).، ص-ص 105- ,109

لمؤتمراته ولقاءاته تحت ضغط الرأي العام العربي الذي استفزته ممارسات إسرائيل الوحشية ضد العرب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة[14].

تلك المقاطعة التي كشفت النقاب عن عدة أمور كانت خافية على القادة وصناع القرار في العالم، منها:

- قدرة الرأي العام العربي على فرض رأيه وإرادته.

- الكشف عن إدراك الرأي العام العربي بأن المشروع الشرق أوسطي هو تدبير أمريكي إسرائيلي يجري استزراعه وفرضه على المنطقة ليخدم أطماع الدولتين على حساب المصالح والحقوق العربية.

14. تبدو الضرورة ملحة في البحث عن حقيقة النظام الشرق أوسطي الذي يفرض نفسه بقوة بديلا عن النظام العربي، ويتبين لنا أن المصطلح والمفهوم هما من نتاج الفكر الغربي، بقدر ما كانت الأهداف هي من صميم المشروع الاستعماري، حيث ارتبط مصطلح الشرق الأوسط بتطور الفكر الاستراتيجي الإنجليزي، واستخدام التعبير لأول مرة عام 1902 بواسطة ضابط غربي أمريكي هو الكابتن "ألفريد ماهان" صاحب نظرية " القوة البحرية في التاريخ " وذلك في مقال له صدر في لندن، بعنوان " الخليج الفارسي في السياسة الدولية "، وفي العام نفسه كتب فالنتاين شيرول مراسل جريدة التايمز البريطانية سلسلة مقالات امتدت حتى أفريل عام 1903 بعنوان "المسألة الشرق أوسطية" ، وقد بدا مفهوم الشرق الأوسط في مطلع الخمسينات أنه يقوم على الادعاء الغربي الذي يرى في منطقة الشرق الأوسط بأنها تتكون من خليط من الأجناس والشعوب والجماعات الثقافية والقومية المتعددة، أما في مطلع الستينات فقد بدا الهدف الغربي من تمزيق أوصال الوطن العربي هو الهدف الأكثر وضوحا من وراء نشر مفهوم الشرق الأوسط وذيوعه، فقد تعامل الخطاب السياسي الغربي مع الوطن العربي باعتباره لا يمثل أي شكل من أشكال الوحدة المتميزة، فالفكر الاستعماري يدخل باستمرار دولا غير عربية في النطاق الجغرافي للمفهوم الشرق أوسطي، فنجد دولا مثل تركيا وقبرص وإثيوبيا وأفغانستان وباكستان وإيران وإسرائيل، وتخرج منه باستمرار دول مثل المغرب والجزائر وتونس، وأحيانا ليبيا والسودان ، بل أخرجت مصر من المنطقة عند أحد المفكرين الغربيين. انظر. صلاح زكي أحمد ، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي ، صراع الأهداف والمصالح، ط1، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995 ، ص 07. انظر أيضا ، مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 105

– رفض الشارع العربي الانسياق وراء المشروع الشرق أوسطي وتمسكه بالجامعة العربية باعتبارها بيت كل العرب.

وعليه، فقد أفرزت الانتفاضة الشعبية العربية إدراكا عميقا ووعيا كبيرا بخطورة المخطط الأمريكي الصهيوني الذي لم يعد خافياً أنه يسعى إلى محو الهوية القومية للشعب العربي، وتهميش النظام العربي المتمثل في الجامعة العربية، واستبداله بنظام إقليمي شرق أوسطي تتربع إسرائيل على قمته لتتقمص دور القوة الإقليمية الكبرى تحت جناح الهيمنة الأمريكية.

ومن هنا، فإن دعم الجامعة العربية والإسراع في تحصينها لمواجهة التحديات المنتظرة أصبحت واجباً قومياً ملحاً.

وهذا لن يتأتى إلا بتعظيم دورها القائد والرائد وتفعيل أجهزتها وقدراتها والوصول بأدائها إلى أعلى مستوى ممكن من الكفاءة لتكون ليس فقط بيتاً للعرب وإنما القلعة التي تحميهم، والقاطرة التي تقود مسيرتهم نحو الهدف الأسمى وهو الوحدة العربية[15].

2-2 جوانب القصور في هياكل الجامعة العربية:

إن الصيغة التي بُنيت عليها الجامعة العربية كانت عاملاً في بقائها، على الرغم من أنها تمثل لدى الكثيرين المسؤول الأول عن ضعف أداء الجامعة، فمن المعروف أن نظام جامعة الدول العربية قد بُني على أساس احترام سيادة الدول الأعضاء، فسوى بينها في التصويت، وأخذ بقاعدة أن القرارات المتخذة بالأغلبية لا تُلزم إلا من وافق عليها، وهكذا وُلدت الجامعة العربية منذ اليوم الأول وفيها قصور تكويني يفرض عليها الأخذ بالقاعدة التي تتبعها القوافل في الصحارى وهي القائلة "سيروا سير

15. محمد وفاء حجازي ، الجامعة العربية ومستقبل العمل العربي المشترك ، في ، الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب ،ع 2 ، دمشق ، ربيع 1998 ، ص 6,

أضعفكم"[16].

وللدفع بالجامعة العربية إلى الأمام مثلما تقتضيه طموحات الجماهير العربية، ينبغي كشف جوانب القصور لمعالجتها، وتشخيص مواضع الضعف لتقويمها ومن الواضح أن أداء الجامعة حيال المشاكل العربية والإقليمية التي توالت على مدى السنوات الماضية يكشف عن وجود مواطن خلل منهجية وتنظيمية وتنفيذية تستوجب الإسراع بمعالجتها وتصحيحها لتطوير وتحسين ذلك الأداء والارتقاء به إلى المستوى الذي يمكنها من القيام بدور فعال ومؤثر باعتبارها الآليه المركزية للنظام العربي، والعمل العربي المشترك، وباعتبارها كذلك منظمة إقليمية ممثلة للأمة العربية في المنطقة التي يحتل فيها الوطن العربي معظم أجزائها[17].

ولعل من أهم الجوانب والموضوعات والأوضاع التي تستدعي المراجعة والتعديل والتصحيح هي:

أولاً: الميثاق:

فالميثاق المعمول به الآن هو نفسه الميثاق الذي سبق وضعه منذ ما يزيد عن نصف قرن.

وعليه، وجب على القادة العرب التفكير جديا في صياغة ميثاق جديد يناسب المتغيرات الجذرية التي جرت على الساحات العربية والإقليمية والدولية، ويتعامل بمفاهيم العصر ومتطلباته مع القضايا والطروحات الجديدة التي ترتبت على تلك المتغيرات والتي أصبحت تفرض نفسها على مجمل العلاقات الدولية.

ويمكن تلخيص دواعي صياغة ميثاق جديد في:

1- خلو الميثاق المعمول به، من أهم هدف يؤكد قومية منظمة الجامعة العربية

16. أحمد يوسف أحمد، المرجع السابق، ص 4.
17. محمد وفاء حجازي ،المرجع السابق، ص 6-7.

وخصوصية المنهج الذي تعمل به وهو هدف الوحدة العربية[18].

ولا شك أن إغفال وضع الوحدة العربية على رأس الأهداف التي تسعى الجامعة العربية إلى تحقيقها، أفقدها الحافز الذي كان يمكن أن يشكل دافعاً قوياً لتعظيم دور المنظمة وتفعيل أدائها، وتنشيط آليات وأجهزة المنظمة في حركة تصاعدية وصولاً إلى هذا الهدف القومي الأسمى.

والملاحظ أن الأهداف التي وردت في ديباجة الميثاق والمادة الثانية منه وكذا المبادئ التي تضمنتها المواد 5،6،8[19] تعنى في إجمالها بتنظيم العلاقات البينية للدول الأعضاء، وتحث على تطويرها في مختلف المجالات بالأسلوب التقليدي المتبع بين مختلف الدول وفي صياغات تغلب عليها العمومية.

وهو الأمر الذي حكم على هذه العلاقات أن تجري في حركة دائرية دون أن تحفزها أهداف مستقبلية تدفعها إلى تبني آفاق جديدة واجتياز مراحل متنامية ومتصاعدة وصولاً إلى هذه الأهداف.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن فكرة الوحدة- وردت في بروتوكول الإسكندرية الموقع في 07 أكتوبر سنة 1944 وذلك في سياق المادة الثامنة[20].

" أن توفق البلاد العربية في المستقبل إلى تدعيم الوحدة بخطوات أخرى، وبخاصة إذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب[21] القائمة عن نظم تربط بين الدول العربية بروابط أمتن وأوثق "[22]

18. ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص- ص 350-357 .
19. نفسه، ص ,354
20. هنري لورانس ، الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ، المرجع السابق ، ص ,58
21. الحرب يقصد بها الحرب العالمية الثانية .
22. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص ,4

إلا أنه جرى استبعاد لفظ الوحدة من الميثاق الذي جرى إقراره[23].

2- الميثاق المعمول به الآن قصر اهتمامه على تنظيم العلاقات البينية للدول الأعضاء، أما أية مسائل أو قضايا أخرى تعرض لها عابراً وبطريقة هامشية.

وكون تنظيم العلاقة البينية هو أحد عوامل نجاح الجامعة، فإنه من الضروري توجيه عناية كافية ومستحقة للبيئة الاقليمية التي تحيط بالوطن العربي ويدخل في نسيجها.

فلابد أن يتضمن الميثاق الجديد بصورة أكثر تفصيلاً منهج التعامل مع القضايا الإقليمية مثل قضايا السلام، والأمن الإقليمي، ونزع أسلحة الدمار الشامل، والحفاظ على البيئة، والانتفاع المشترك من مصادر المياه في الإقليم.

3- إلزامية احترام كل أعضاء الجامعة للقرارات وتطبيقها، كونها نظام عربي إقليمي يستمد مبرر وجوده من المصالح والخصائص التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية المشتركة، وله خصوصيته وأهدافه القومية.

وتأسيساً على ذلك لابد أن ينص الميثاق على عدم جواز أن تنتهج أي دولة عربية سياسة تخالف أو تتعارض مع سياسة الجامعة.

ولعل الحاجة الشديدة لمثل هذا الالتزام تؤكدها التجربة العملية التي تجلت في كثير من المواقف ولعل أكثرها لفتاً للنظر هرولة بعض القيادات العربية لإقامة علاقات مع إسرائيل في الوقت التي اتخذت الجامعة قراراً بوقف التطبيع، بل والاستمرار في عملية تطبيق قرارات المقاطعة[24].

4- المادة السابعة في الميثاق والخاصة بالتصويت على القرارات كانت ومازالت على رأس المواد المطلوب تعديلها، تخلصاً من قيد الإجماع الذي تفرضه هذه المادة والذي أصاب فاعلية الجامعة بالضعف والجمود، ولم يعد هناك خلاف بين جميع

23. نفسه، ص 4,

24. مفيد محمود شهاب ، المنظمات الدولية، دار النهضة العربية 1973، ،ص 425.

الدول أعضاء المجلس، على ضرورة استبدال قاعدة الإجماع في التصويت بقاعدة الأغلبية.

ولكن لابد وأن يقترن هذا التعديل:

- بنص واضح يلزم جميع الدول الأعضاء بتنفيذ القرارات التي تصدر بالأغلبية.

- تشكيل آلية يكون لها صلاحية الإشراف على تنفيذ القرارات التي تصدر بهذا الأسلوب وتحديد مسئولية الدول التي تخل بهذا الالتزام.

5- تأسيساً على ما سبق لابد وأن يتضمن الميثاق مادة تحدد الإجراءات العقابية التي يمكن أن يصدرها المجلس، والحالات والموضوعات التي تصدر بشأنها تلك الإجراءات العقابية.

وقد يكون من الضروري أن تتضمن هذه الحالات، حالة عدم الالتزام بالقرارات التي تصدرها الجامعة، حالة عدم الوفاء بالالتزامات المالية[25].

ثانياً: الهيكل التنظيمي:

1- في بحثه عن جامعة الدول العربية وتحديات المستقبل أبرز السفير الدكتور نعمان جلال أن الجامعة العربية تواجه أزمة تنظيم حيث أوضح:

" أن كثيراً من منظمات العمل العربي ترهلت في جهازها[26] الإداري وأصبحت تعاني عجزاً في ميزانياتها، وأحياناً بعضها يكرر ما يتم على المستوى القومي أو يكرر ما تم في أجهزة عربية أخرى مما يؤدي إلى ازدواجية في العمل".

ويستطرد الدكتور نعمان جلال موضحاً أن علاج هذه الأزمة التنظيمية " يستلزم

25. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص,5

26. نعمان جلال، جامعة الدول العربية وتحديات المستقبل،في، مجلة الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – تعنى بنشر المواد الفكرية و السياسية و الدبلوماسية و الوثائق المتصلة بذلك – العدد الثاني السنة الأولى ربيع 1998.

بحث إعادة هيكلة وتنظيم أجهزة العمل العربي المشترك للتخلص مما لا ضرورة أو فائدة حقيقية من ورائه"[27]

2- في الوقت الذي يكتظ فيه الهيكل التنظيمي للجامعة العربية، بالمنظمات المتخصصة (17) واللجان الفنية(4)، والمجالس الوزارية المتخصصة (10) والوحدات الإدارية(16) فإنه يفتقر إلى بعض الأطر المؤسسية الضرورية لتغطية جوانب القصور في قيام الجامعة بمهامها وللارتفاع بمستوى أدائها[28].

ويرى بعض الخبراء أن أي محاولة جادة للخروج بالعمل العربي من أزمته ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار أن يضاف إلى مؤسسات هذا العمل بعض الأجهزة.

أ- محكمة العدل العربية:

تجمع آراء الخبراء والمختصين أن إنشاء هذه المحكمة أصبح ضرورة لا غنى عنها خاصة بعد حرب الخليج الثانية التي قامت فيها العراق بغزو الكويت[29].

وعلى اعتبار أن عدم تضمين الأطر المؤسسية في منظومة العمل العربي المشترك جهازاً قضائياً- محكمة العدل العربية- يمثل قصوراً خطيراً يجب تداركه حتى يمكن استكمال البناء القانوني للجامعة العربية[30].

ولقد أعد الأمين العام للجامعة العربية بالفعل مشروعاً لإنشاء محكمة العدل العربية وجرت مناقشته في دورات انعقاد مجلس الجامعة السابقة وجرت الموافقة عليه من حيث المبدأ ومن المنتظر أن يتم إقراره في اجتماعات المجلس القادمة[31].

27. نفسه .

28. ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص- ص 350-357.

29. إبراهيم محمد حسن ، الصراع الدولي في الخليج العربي ،العدوان العراقي على الكويت الأبعاد والنتائج العربية والدولية ،ط1، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت 1996 ، ص 65 وما بعدها.

30. . ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص 262.

31. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص,6

ب- آلية فض المنازعات:

وهي أيضاً من الأجهزة التي أصبح من الضروري إنشاؤها لمحاولة الوقاية من النزاعات العربية وتداركها قبل أن تتحول إلى أزمة يصعب تطويقها، والعمل على تسويتها بالوسائل السلمية.

ولقد أعدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مشروعاً بإنشاء هذه الآلية وقد أقر مجلس الجامعة العربية هذا المشروع من حيث المبدأ ومن المنتظر الموافقة عليه بشكل نهائي في أحد دورات المجلس المقبلة.

3- تطوير عمل مجلس الدفاع المشترك:

منذ إنشاء مجلس الدفاع المشترك سنة 1950 وهو جهاز معطل وبلا فاعلية ولم يسهم بأي جهد في حماية أمن الدول الأعضاء أو الأمن القومي العربي بصفة عامة.

والآن، وقد أصبح الأمن القومي العربي على إطلاقه بما في ذلك أمن الأقطار العربية خاصة المتاخمة لإسرائيل مهدداً بأخطار جسيمة:

- في مقدمتها إنتاج وتملك إسرائيل للأسلحة النووية والصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى الناقلة لها[32]، وكذلك تمكنها من تصنيع واطلاق أقمار صناعية.

-التواجد العسكري الأمريكي على أراضي بعض الدول الخليجية وتمركز قوة ضاربة من الوحدات البحرية الأمريكية في مياه الخليج[33].

-الحلف الإسرائيلي التركي الذي تشكل مؤخراً[34].

32. أمين حامد هويدي ، الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي ، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1987، ص 79 وما بعدها.

33. إبراهيم محمد حسن ، المرجع السابق ، ص –ص 217 – 259.

34. كانت تركيا أول دولة مسلمة تعترف بإسرائيل في العام 1948. ومع ذلك لم تصل العلاقات التركية الاسرائيلية إلى مستوى عال من التنسيق السياسي والتعاون العسكري والتبادل التجاري. فقد كان ضغط الرأي العام الداخلي (الاسلامي) والازمات الاقتصادية والظروف الاقليمية يكبح

– احتلال إيران لجزر الإمارات الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى[35].

كل هذه الأخطار والتهديدات أصبحت تفرض إعادة النظر في وضع هذا الجهاز وإعادة تشكيله وتحديد مهامه على النحو الذي يجعله يوفر الحد الأدنى من الحماية ضد

أي ظهور لتركيا بمظهر الحليف لإسرائيل ضد العرب، وبعد الانقلاب العسكري الذي وقع في /12/ ايلول/1980 برز في الدوائر السياسية والدبلوماسية التركية اتجاهان ازاء سياسية الدولة نحو اسرائيل والعرب، الاتجاه الاول: كان مع تطوير التعاون مع اسرائيل والثاني: كان مع قطع هذه العلاقات أو على الأقل خفضها إلى الحد الأدنى وكان اصحاب الاتجاه الثاني وعلى رأسهم وزير الخارجية التركية آنذاك "ايلتير توركمان" يرون أن العلاقات مع العرب تحقق الحصول على حاجة تركيا من النفط بسعر رخيص وتؤمن صادراتها إلى الدول العربية بصورة كبيرة كما تضمن لتركيا تأييد العرب في موقفها من الأزمة القبرصية ويرون أيضاً أن النفوذ اليهودي في واشنطن مبالغ فيه كما أن اسرائيل تتعاطف مع تأسيس دولة كردية مستقلة في الشرق الأوسط ، مع انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي وبدء حرب الخليج الثانية ومن بدء محادثات السلام العربية – الاسرائيلية في مدريد خريف 1991 بدت الظروف مواتية لكسر الجمود في علاقات أنقرة مع تل أبيب حيث اتبعت تركيا سياسة متوازية بين العرب واسرائيل وحرصت على عدم الظهور بمظهر المندفع لتطوير علاقاتها مع اسرائيل بل أن هذه العلاقات كانت تتحسن بوتيرة توازي وتيرة التقارب العربي-الاسرائيلي. انظر : مصطفى طلاس ، التعاون التركي الإسرائيلي ، في ، الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ،ع 1 ، دمشق ، ص –ص 39 – 47,

35. في يوم 30 نوفمبر عام 1971 وقبل يومين فقط من الانسحاب البريطاني من الخليج العربي أمر شاه إيران اسطوله بتنظيم عملية بحرية لغزو الجزر العربية الثلاث " ابو موسى " و " طنب الكبرى " و " طنب الصغرى " وأراد الشاه أن يحقق عدة أهداف من وراء هذا العدوان :

. السيطرة على هذه الجزر حيث انها تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز وتتحكم بالملاحة في المدخل الجنوبي للخليج العربي عند مضيق هرمز الذي يربط الخليج العربي بخليج عمان .

. التأكيد للولايات المتحدة الأمريكية على مقدرة القوات الايرانية في استخدام القدرة العسكرية العالمية عند التحرك في الخليج .

. التأكيد للعرب على دور إيران كقوة رادعة . انظر يحيى حليمي رجب ، الخليج العربي والصراع الدولي المعاصر ، (د ط ، د دار الطبع ، د م ، 1989 ، ص 13.

الأخطار المحتملة.

والمهمة لاشك صعبة في ظل التطور العسكري الذي استطاعت إسرائيل تحقيقه على مدى السنوات الماضية، ولكن مهما كانت صعوبة ومشقة الجهد المطلوب فلا بد لها من نقطة بداية ينطلق منها[36].

وهذا أمر يقتضي التشاور بين القيادات العسكرية العربية خاصة تلك التي تملك قدرات عسكرية فاعلة وحديثة تحت مظلة الجامعة العربية لوضع الاستراتيجية العسكرية من منظور أمني قومي جماعي، والتي من شأنها أن تكفل القدر اللازم والضروري من الحماية في مواجهة هذه الأخطار[37].

4- إن أكبر نقطة ضعف في الهيكل التنظيمي للجامعة العربية هو كونه جهازاً ممثلاً للحكومات العربية فقط وأنه مؤسسة مصمتة، منغلقة على التمثيل الحكومي ليس إلا، ولا تتيح أي مساحة أو فرصة لتمثيل الهيئات والمؤسسات العربية الأخرى الأهلية وغير الحكومية، وتمكينها من المشاركة أو المساهمة ولو بقدر ضئيل في تسيير العمل العربي المشترك الذي تقوده جامعة الدول العربية.

وإذا كانت مثل هذه الأوضاع لم تكن محل اعتراض في سابق السنين فإنها في وقتنا الحاضر غير مقبولة أو مسموح بها، في عصر أصبح للرأي العام صوت لابد وأن يسمع ورأي لابد وأن يؤخذ في الحسبان، خاصة وأن كثيراً من الحكومات في وطننا العربي تسير في اتجاه مخالف لما تعتقده وتؤمن به الجماهير، ولقد ظهر ذلك بوضوح من خلال ما يحدث اليوم في الساحة العربية من تمردات شعبية ضد حكامهم الذين هرموا على الكرسي، بل شاخوا وهم لا يعلمون.

فإذا ما كان الأمر يتصل بالعمل العربي المشترك، فإن للمؤسسات المعبرة عن

36. زبير سلطان قدوري ، السلام في المشروع الصهيوني ، مصر نموذجا ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001 ، ص 31 .

37. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص08.

الجماهير والمفوضة منها كل الحق في أن تشارك على الأقل في إدارة الشأن العربي الذي يخصها هي أولاً قبل أن يكون للحكام فيها نصيب.

ومن هنا فقد يكون من المفيد أن يضم الهيكل التنظيمي للجامعة مؤسسات أو أجهزة تعكس وتعبر عن موقف الرأي العام حيال قضايا العمل العربي المشترك.

ولعل أنسب هذه الأجهزة هي البرلمان العربي الذي يجري انتخابه منفصلاً عن البرلمانات الوطنية، أو أن تكون هيئة استشارية ينتخب أعضاؤها في كل قطر من المنظمات الجماهيرية، والهيئات الأهلية، مثل الاتحادات العمالية والنقابات المهنية والمؤسسات العلمية، على أن يكون لهذا الجهاز المنتخب وضع مؤسس داخل البناء التنظيمي للجامعة يكفل له المشاركة المباشرة في أعمال الجامعة، لا أن يكون وضعه على هامش الهيكل التنظيمي للجامعة كما هو الحال بالنسبة لبعض الهيئات والاتحادات والنقابات المهنية.

كذلك فإن إنشاء علاقة تنظيمية مستقرة ودائمة بين أحد أجهزة الجامعة العربية والمنظمات العربية غير الحكومية سيساعد على أن يكون للرأي العام العربي حضور وتواجد في كافة القضايا والمسائل التي تتناولها أجهزة الجامعة وذات الصلة بالعمل العربي المشترك[38].

2-3 : التحديات التي تواجهها جامعة الدول العربية:

تواجه الجامعة العربية في إطار الظروف والأوضاع العربية والإقليمية السائدة عدداً من التحديات الخطيرة التي لا تقتصر آثارها السلبية والمدمرة على فاعليات الجامعة فحسب بل وتمتد إلى وجودها ذاته.

ويمكن تقسيم هذه التحديات إلى مجموعتين:

تحديات داخلية: الصراع العربي العربي، أثر قيام المنظمات الاقليمية العربية على مسيرة العمل العربي المشترك.

38. نفسه ، ص 08,

تحديات خارجية :التصعيد الإسرائيلي في صراعها مع العرب ،تصدير المشروع الشرق أوسطي إلى المنطقة لفرض التراجع على المشروع القومي العربي[39]، التواجد العسكري الأمريكي على أراضي بعض الدول الخليجية، وكذا حشد أسطول أمريكي في مياه الخليج، التحالف التركي الإسرائيلي ،الأطماع الإقليمية الإيرانية في الخليج.

- الصراع العربي العربي:

إن الاجتياح العراقي للكويت هو نموذجا مفزعا للصراع العربي عربي، واتخذه البعض دليلاً على أن الأخطار التي تهدد الأمن القومي العربي تأتي من داخل المحيط العربي وليس من خارجه.

ومن الأشد خطرا على الأمن القومي هي الصراعات العربية العربية، وأن ما عداها في صورة الصراع الإسرائيلي العربي يأتي في المرتبة الثانية والأقل خطراً.

ويسهم هذا الطرح في نسف مبدأ العمل العربي المشترك من أساسه ويدعو بلا تفكير إلى التخلي عن التوجه القومي، والترحيب بالتقارب مع إسرائيل بل والاندماج معها في إطار المشروع الشرق أوسطي، الذي تمسك أمريكا بزمامه وتوكل إلى اسرائيل

39.الشرق أوسطية في نهاية الأمر تتلخص بتغيير هوية المنطقة العربية، وإلغائها نهائياً، وإطلاق هوية جديدة، هي الشرق أوسطية بدلاً عنها. لتضم جغرافيا الوطن العربي والكيان الصهيوني وتركيا وقبرص وإيران والباكستان، وهذا التجمع برأي منظريها، يجب أن يكون تحت قيادة كيان الصهاينة. بالادعاء بأنها تملك العقل المبدع، الذي يستطيع أن يخرج المنطقة من التخلف إلى الرقي والتقدم، ويبني تجمعاً اقتصادياً وسياسياً يحتل مراكز متقدمة في العالم.
وقد شرح هذا الهدف أحد أنصار الشرق أوسطية من القادة العرب الملك الحسن الثاني الراحل، حين رأى أن العقل اليهودي والمال والعمالة العربية قادرة أن تصبح قدرة عظمى. ولم يخف بيريز جوهر ما قاله الحسن الثاني، حين طرح في إحدى المقابلات الصحفية للعرب بقوله: (إن جمال عبد الناصر قادكم زمناً، والسعوديين زمناً، فاتركونا نقودكم زمناً، لنثبت لكم، أننا قادرون على إنهاء مشاكلكم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية). ففي نظر الحسن وبيريز أن العقل اليهودي أقدر وأذكى من العقل العربي، فلماذا لا نتركه يقود العرب؟ لينهض بالتنمية العربية والمنطقة، لأنه يستطيع أن يحقق المعجزات. انظر : زبير سلطان قدوري ، المرجع السابق ،ص 33.

إدارته[40].

ورغم خطورة النتائج والتداعيات المترتبة على النزاعات العربية والتي يجري إدراجها تحت مسمى الصراع العربي العربي، فإن هذا الصراع لا يمثل ظاهرة ثابتة أو متكررة، ولكنه رغم فداحته- كما جرى في غزو العراق للكويت- يمثل حالة عابرة ومرهونة بعلاقات الحكام، وليست تعبيراً عن تناقض جذري في المصالح الحيوية للدول والشعوب وتعارضاً كلياً في الأهداف والاستراتيجيات كما هو الحال في الصراع الإسرائيلي العربي.

وبالتالي، فإن علاج هذه الحالة لا تواجهها تعقيدات التوفيق أو الموازنة بين المصالح الأساسية والحيوية التي يفرق بينها التضارب والتناقض، وإنما يحقق الحل والعلاج والتفاهم الشخصي بين الحكام وتهدئة وتحسين الحالة المزاجية في علاقات الشخصيات الحاكمة وصاحبة القرار لبعضها البعض[41].

وحتى في حالات استمرار توتر علاقات بعض القيادات فإنها ستكون محكومة في النهاية بالفترة الزمنية التي تبقى فيها في مواقع السلطة.

لهذا يمكن القول إن النزاعات أو الصراعات العربية العربية لا تمثل في حد ذاتها خطراً يهدد مبدأ الوحدة كهدف قومي لكل العرب، ولكن الخطر الذي تفرزه هذه الصراعات هو أن يستخدمها خصوم العرب- لتمرير مخططاتهم المشبوهة في لحظات الفزع العربي العربي، لتحريضهم على التخلي عن عقيدتهم القومية والزج بأنفسهم في أحضان الهيمنة الأمريكية الشاملة وتحت مظلة التسلط الإسرائيلي.

وفي مثل هذه الظروف لابد من أن تلعب الجامعة العربية دوراً حاسماً لتوقيف هذه التداعيات المدمرة ودرء أخطارها وذلك من خلال:

أ- مواصلة الجهد الذي بدأته بعض القيادات العربية لتحقيق المصالحة العربية

40. مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 151 وما بعدها.
41. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص10.

واتخاذ مبادرات جديدة تغزز هذا الاتجاه وتروج له.

ب- تفعيل أجهزة ومؤسسات الجامعة في تعميق وتوسيع التعاون القائم بين الأقطار العربية في بعض المجالات، وكذا فتح آفاق جديدة تؤسس مزيداً من المصالح والمنافع المشتركة بين الأقطار العربية وخاصة في المجالات الاقتصادية.

ويمكن في هذا الصدد تكثيف الجهود وتسريع الخطى الرامية إلى إقامة منطقة التجارة الحرة والسوق العربية المشتركة.

2-4 : أثر قيام المنظمات الاقليمية العربية على مسيرة العمل العربي المشترك:

منذ نشوء المنظمات الإقليمية العربية " مجلس التعاون الخليجي لسنة 1981 [42]"، "الاتحاد المغاربي سنة 1989 [43]"، "دول إعلان دمشق سنة 1991" والجدل يثور حول مدى تأثير هذه المنظمات سلباً أو ايجاباً على مسيرة العمل العربي المشترك، وتحديداً على أداء الجامعة العربية.

وقد اختلفت وتباينت الآراء في هذا وتفرقت على اتجاهين:

الأول: أن الترابط بين هذه الأقطار من شأنه أن يسهل إقامة الوحدة العربية الكبرى التي ستكون حينذاك بين عدد أقل من الوحدات، وبالتالي فإن هذه التجمعات الفرعية خطوة نحو الهدف الكبير.

الثاني: رافض لهذه التجمعات ويرى أنها تحمل مخاطر توسيع نطاق التفتت ومدخلاً لترسيخ الانقسام والعزلة وتقسيم الوطن العربي إلى نوادٍ مغلقة[44].

ودون التعرض للأسباب والدواعي التي أدت إلى قيام هذه التجمعات فإن ما يعنينا في نهاية المطاف التعرف على النتائج التي حققتها ومدى تأثيرها:

---

42. ميلود ميسوم، مرجع سابق،ص 266.

43. محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2004، ص 192 وما بعدها.

44. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص ,11

- هل أفادت العمل العربي المشترك أم أضرت به؟

- هل دعمت الجامعة العربية أم أضعفتها؟

- هل استطاعت تقريب المسافة من تحقيق الوحدة العربية أم العكس.؟

والواضح من ظواهر الأمور أنها (أي المنظمات الإقليمية العربية)

أ- إن لم تكن قد أضرت بالفعل بالعمل العربي المشترك فإنها بالقطع لم تفده أو تنفعه على أي نحو.

ب- أنها كذلك بالقطع لم تدعم الجامعة العربية.. فالجامعة في وضعها الحالي أضعف مما كانت عليه في أي وقت مضى،.. وقد لا تكون هذه المنظمات مسؤولة مسؤولية مباشرة عن هذا الضعف إلا أنه لا يمكن كذلك استبعاد أنها كانت أحد أسبابه.

ج- أن هدف الوحدة لم يكن في يوم من الأيام أبعد منالاً مما هو عليه الآن.

وسواء كانت هذه التجمعات مسؤولة عن هذا كله أم لا، فإنها بالنسبة للجامعة العربية والعمل العربي المشترك لم تحقق أياً من الإنجازات أو الأهداف القومية التي عنيت بإبرازها والتأكيد عليها في وثائق تأسيس كل منها[45].

بل يمكن القول استدلالاً بعدد من الشواهد أنها كانت أميل إلى أن تنأى بنشاطها بعيداً عن الجامعة العربية.

فالواضح أن نشاط كل نظام من الأنظمة الإقليمية يتم تماماً وبمعزل كامل عن التنسيق مع أجهزة الجامعة[46].

ومن اللافت للنظر كذلك في سلوك وممارسات هذه المنظمات:

- عدم حرص أي منها(عدا دول إعلان دمشق) على إشراك الجامعة في

45. نفسه ، ص11.

46. مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 71 وما بعدها.

اجتماعاتها أو إخطارها على نحو منظم بنشاطها.

- تغليب الاعتبارات الذاتية على الاعتبارات القومية.

- غلبة طابع الاستعلاء والاعتزاز بالثروة (بالنسبة لمجلس التعاون الخليجي تحديداً) في تعامله مع الدول والأقطار العربية الأخرى.

ولو أن المقابل لتجاهل هذه المنظمات لدورها القومي هو تحقيق انتعاشها الاقتصادي الذي أقامت منظماتها من أجل تحقيقه لكان ذلك مفهوماً.

ولكن العائد الاقتصادي من إقامة هذه المنظمات على ما يبدو كان ضئيلاً ولايتكافأ مع الجوانب السلبية المترتبة على هذا التجاهل.

2-5: تصدير المشروع الشرق أوسطي[47] إلى الوطن العربي:

وهذا المشروع يمثل أكبر التحديات على الإطلاق التي تواجهها جامعة الدول العربية، ورغم كل المناورات ومحاولات التمويه والتأثير، فإن هذه الحملة المهولة التي استخدمت فيها كل المؤثرات الإعلامية والفكرية والثقافية والسياسية لم تستطع أن تخفي حقيقة الدوافع الكامنة وراء المشروع والتي دعت الحلف الأمريكي الصهيوني إلى طرحه والإلحاح عليه حتى الآن.

ولعل كم الوثائق والأبحاث والدراسات التي قدمت في الندوة التي أقامتها اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع سنة 1996 تحت عنوان "الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني"، قد برهنت على نحو قاطع وبما لا يدع مجالاً للشك أن ذلك المشروع كما وصف على أنه :

" أن المشروع الشرق أوسطي الأمريكي الصهيوني هو مشروع للإخضاع"

" المشروع الشرق أوسطي صياغة اسرائيلية بدعم أمريكي بهدف بناء- ما أسماه شيمون بيريز الشرق الأوسط الجديد الذي تلعب فيه إسرائيل دوراً رئيسياً قيادياً

47. للاطلاع على مشروع الشرق الأوسط ،ارجع للصفحة 227 وما بعدها من هذا البحث.

وتكون بمثابة الوسيط والوكيل المعتمد بين المراكز الرأسمالية المتقدمة في الغرب"[48].

ولا يمكن أن يكون موقف الجامعة العربية حيال هذا المشروع الذي ينفيها شكلاً وموضوعاً وعقيدة إلا محاربته والتصدي له دون هوادة، واستخدام كافة الأسلحة السياسية والدبلوماسية والثقافية والإعلامية لإخراجه من أي دائرة اهتمام في الوطن العربي، واعتبار أن مجرد مناقشة هذا الموضوع في أي مناسبة وفي أي إطار بما في ذلك ما تسمى بمؤتمرات التعاون الاقتصادي.. هو تمكين أعدائنا منا وإفساح مكان للقوى المعادية لتتخذه قاعدة انقضاض لتصفية المشروع القومي العربي وفي المقدمة جامعة الدول العربية[49].

إن بحث ومناقشة قضايا العمل العربي المشترك تقود إلى نتائج حاسمة:

– أن الجامعة العربية بجميع المقاييس ضرورة لا غنى عنها للأمة العربية، فهي قبلتهم القومية، وبيتهم الذي يلتئم تحت سقفه شملهم، وتلتقي في ساحته كل القوى والفصائل الممثلة لهذه الأمة، وصنع مستقبلها.

– أنه إذا كانت الجامعة ضرورة فإصلاحها فريضه، وتقويتها فخر لكل العرب، والنهوض بها ضمان للمستقبل وبلوغ للأمل، وإهمالها جريمة.

ويعني الإصلاح كذلك أن تكون الجامعة العربية جامعة الأمة بأسرها ، حكاماً ومحكومين، وليس جامعة حكام فقط.

6-2 : الجامعة العربية وجدلية المؤامرة البريطانية :

استطاع العمل القومي في الخمسينات والستينات أن يتجاوز عوامل الجوار الجغرافي، والاتصال الإقليمي، وتباين التجربة السياسية، وأن ينجز نماذج للعمل الوحدوي العربي، لقيت حظا متفاوتا من النجاح والإخفاق، وطرحت وحدة الوطن العربي مدخلا لتحرر وتقدم هذه الأمة، وفي هذا الإطار، كان طرح المشروعات

48. زبير سلطان قدوري ، المرجع السابق ، ص – ص 33-40 .
49. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ،ص 12.

الإقليمية العربية كعنصر تكامل للمشروع القومي العربي، لكن ضرب المشروع القومي في الستينات، والتحولات الكبرى في الواقع العربي في السبعينات والثمانينات، وفي موازين الثروة والقوة والتوجهات والقدرة على التأثير، خلقت واقعا جديدا في مقاربات العمل الوحدوي، وعادت بعوامل الجوار والتكامل والتماثل كحلم لمطمح الوحدة.

كان إنشاء جامعة الدول العربية عام 1945[50] حدثا بارزا على مستوى النظام الإقليمي العربي، الذي أخذت ملامحه تتشكل مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن الضروري بداية بين النظام العربي والجامعة العربية، فالنظام العربي[51] يتمثل في شبكة كثيفة معقدة من العلاقات والتفاعلات والروابط، الحكومية والشعبية، الرسمية وغير الرسمية، تبلور بعضها في شكل مؤسسات وأبنية، والبعض الآخر يحدث بين أفراد وجماعات دونما شكل قانوني أو بنائي محدد . أما الجامعة العربية فهي أحد الرموز ومعالم هذا النظام التي لها صفة حكومية ورسمية ، ومن ثم فالجامعة جزء من كل [52].

إن الإطار التاريخي العام الذي نشأت في داخله جامعة الدول العربية، هو الإطار نفسه ، في خطوطه العامة، الذي تعمل الجامعة العربية وغيرها من مؤسسات النظام العربي في داخله حتى الآن، أمة عربية واحدة تجد نفسها وطبيعتها ومصلحتها في الوحدة، تكالبت عليها قوى السيطرة والاستغلال الغربية وفرضت عليها التجزئة، مما ترتب عليه خلل كبير واختلال عميق على مستويات الكيان والمعتقد، فضلا عن استمرار السياسات الغربية لتعميق حدة هذه الأزمة وتنمية التخلف والتبعية

50. ميلود ميسوم، مرجع سابق،ص,214

51. نفسه، ص,94

52. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1989، ص ,339

والتجزئة، يساعدها على ذلك بروز فئات وطبقات وقوى اجتماعية، تجد مصلحتها ومستقبلها في الارتباط مع القوى الغربية [53].

هناك من نادى بالكف عن القول بأن الجامعة العربية هي مؤامرة بريطانية، استنادا إلى تصريح إيدن الشهير في 24 فيفري 1943 [54]الذي جاء فيه أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية، لأن تلك الحكومة نفسها كانت قد صرحت أيضا عبر وعد بلفور الشهير، بأنها تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم يعتبر اليهود ذلك التصريح بمثابة مؤامرة مهدت لإنشاء إسرائيل[55].

وعليه يمكن القول أن قيام الجامعة العربية لم يكن وليد رغبة انجليزية ولا نتيجة لتصريح بريطاني أصدره وزير الخارجية الإنجليزي أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي الأربعينات ورغم أن القبضة الاستعمارية كانت لا تزال ممسكة بزمام كثير من خيوط العالم العربي، ورغم أن المنطقة العربية كانت تزخر بالقواعد العسكرية الأجنبية،

53. نفسه، ص ,352

54. حاول إيدن تقريب الإنجليز من العرب كما حاول منع تنفيذ مشروع تشرتشل ، وفي 29 ماي 1941 وفي خطاب بمجلس العموم أعلن تأييده للوحدة العربية دون استشارة رئيس الوزراء مسبقا ودون الإشارة إلى مصالح الحركة الصهيونية فقال " لقد حقق العالم العربي خطوات كبرى منذ استعادة قوته التي تحققت في نهاية الحرب الأخيرة وإن كثيرا من المفكرين العرب ليرغبون في تحقيق قدر من الوحدة لشعبهم أكثر مما تحقق حتى الآن ، ولبلوغ هذه الوحدة فهم يأملون في مساعدتنا ولا يمكن لأي نداء مثل هذا صادر عن أصدقائنا أن يبقى دون إجابة ، ويبدوا لي من الطبيعي والعادل معا أن تتوثق فيما بينهم ليس فحسب علاقات ثقافية واقتصادية بل وأقول أيضا علاقات سياسية ، وإن حكومة صاحب الجلالة من جانبها ستقدم الدعم الأكمل لكل خطة تلقى موافقة عامة" . انظر : هنري لورانس ، المشرق العربي والأطماع الدولية، ص ,70

55. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، المرجع السابق ، ص352.

وواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعماري إلا أن هذه السنوات كانت تشهد مدا تحرريا عارما، وغليانا عربيا يهدد بالانفجار ضد مصالح ونفوذ وقوات الاستعمار [56].

ولا جدال في أن قيام جامعة الدول العربية، وبصرف النظر عن مدى فاعليتها، ساعد على خلق شبكة واسعة من المؤسسات الرسمية الجماعية أسهمت بشكل ملحوظ في تنشيط التفاعلات العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتقنية، وأوصلتها إلى مستوى كان من الصعب تصور تحقيقه في غيابها، على صعيد آخر يلاحظ أن رغبة بعض الدول الأعضاء التي ترتبط فيما بينها بروابط ومصالح أوثق في إقامة أطر مؤسسية أقوى، أدى إلى ظهور نظم إقليمية فرعية، صمد بعضها (مجلس التعاون الخليجي) وتعثر بعضها الآخر (اتحاد المغرب العربي) وانهار بعضها الثالث بعد فترة وجيزة من قيامه (مجلس التعاون العربي الذي قام عام 1989 بين مصر والعراق والأردن واليمن)[57].

ولم يكن ذلك الاجتماع العربي الذي عقد بالإسكندرية، والذي دام انعقاده من 25 سبتمبر إلى 17 أكتوبر سنة 1944 والذي وضع فيه بروتوكول الإسكندرية وميثاق الجامعة العربية الذي وقع في 22 مارس سنة 1945، و ما جاء فيه من سعي المنظمة الجديدة إلى توثيق العلاقات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقا للتعاون فيها، والنظر في شؤون البلاد العربية ومصالحها.

ففي 13 ديسمبر 1931 انعقد بالقدس في فلسطين المؤتمر القومي العربي الذي ضم ممثلين للجمعيات والأقطار العربية، والذي قرر :

- أن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا نقره ولا نعترف به.

56. محمد عمارة ، العرب يستيقظون ، الأمة العربية وقضية الوحدة، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984، ص 13.

57. حسن نافعة ، العلاقات العربية – العربية في ظل الهيمنة الأمريكية ، رؤية استراتيجية ،ط1، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان ، رام الله (فلسطين) ، 2004 ، ص ,12،11

- توجه الجهود في كل قطر وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحاية والإقليمية [58].

وفي 15 سبتمبر سنة 1932 تم إنشاء الشركة العربية لإنقاذ أراضي فلسطين، وهي محاولة عربية لا إقليمية لتدارك الأخطار التي أخذت تحذق بمصير هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، والذي يعنينا هنا هو هذا الطابع القومي والجهد العربي الذي أثمر هذه الشركة، لا مدى ما حققته من نجاح [59].

وفي 12 سبتمبر 1937 - أي قبل اجتماع العرب على المستوى الرسمي بسبع سنوات- اجتمع بمدينة بلودان بسوريا مؤتمر شعبي عربي ليبحث قضية فلسطين وليتدارس الخطر الصهيوني الذي يتهدد التوحيد العربي وبناء الكيان العربي الواحد.

وكان هذا الاجتماع وهذا المؤتمر دليلا على أن القضايا العربية، من بينها قضية فلسطين قد أخذت تبحث عن الحل العربي والتقييم القومي، لا الحل الإقليمي، والتقييم الذي لا يبصر أبعد من الاعتبارات الوطنية الضيقة، ومن ثم دليلا على أن حركة التاريخ واتجاه حركة النمو القومي قد أخذ طريقه الواحد، وأدار ظهره لعصر النكسة والتجزئة والانفصال[60].

وعليه يمكن القول أن ميثاق الجامعة العربية قد نص على أنها نشأت استجابة للرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية، وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها ،وعبر عن نفسه تعبيرا صريحا في المؤتمرات والثورات والحركات والأحزاب [61].

58. محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص 16,
59. نفسه ، ص 17.
60. نفسه ، ص 17,
61. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، المرجع السابق ، ص353.

فحقيقة أن جامعة الدول العربية التي ولدت قبل نهاية الحرب العالمية الثانية وقبل إنشاء منظمة الأمم المتحدة، لأنها قد حظيت بدعم من بريطانيا عند قيامها، على أمل أن تكون نواة لحلف عسكري يمتد من كينيا عبر السودان ومصر إلى المشرق العربي وتركيا وإيران للوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي والمد الشيوعي، وقد أثارت محادثات أو مشاورات الوحدة العربية بين الدول العربية السبع المؤسسة لها بين سنتي 1943و1945 نقاشاً وجدالاً لدى المثقفين العرب في جناحي الوطن العربي المشرقي والمغربي، وتوسع النقاش والجدل ليشمل القيادات السياسية الرسمية والحزبية والشعبية، دار حول طبيعة الاتحاد العربي ومؤسساته ودور الشعوب العربية فيه. وقدمت مشاريع للاتحاد العربي عديدة، لم يؤخذ بها، وقامت الجامعة وفق توازنات القوى السياسية المؤلفة لها ومصالحها، والمخاوف التي أبداها بعضها، وعلى الرغم من الأزمات السياسية العميقة التي مرت بها العلاقات بين الدول العربية خلال العقود الماضية، صمدت الجامعة وبقيت حية، يشتد دورها ويقوى أحياناً، ويضعف أحياناً أخرى حتى التلاشي. ويرتبط ذلك بالإرادة الجماعية العربية، وبنوعية القيادات السياسية العربية الرسمية.